





## الفصل الثالث

### أَقْوَالُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِمَّنْ تَعَرَّضُوا لِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ

قَبْلَ ذِكْرِ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْعَظِيمَةِ لَا يَذْهَبَنَّ عَنْكَ مَا سَبَقَ بَيَّانُهُ: أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ **r** خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَفْضَلُهَا وَأَشْرَفُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ **U**، وَإِنَّمَا حَارَزَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَصَبَ السَّبْقِ إِلَى الْخَيْرَاتِ بِنَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ **r**؛ فَإِنَّهُ أَشْرَفُ خَلْقِ اللَّهِ، وَأَكْرَمُ الرُّسُلِ عَلَى اللَّهِ، بَعَثَهُ اللَّهُ **U** بِشَرِّعٍ كَامِلٍ عَظِيمٍ لَمْ يُعْطِهِ نَبِيًّا قَبْلَهُ، وَلَا رَسُولًا مِنَ الرُّسُلِ، فَالْعَمَلُ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَسَبِيلِهِ يَقُومُ الْقَلِيلُ مِنْهُ مَا لَا يَقُومُ الْكَثِيرُ مِنْ أَعْمَالِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ مَقَامَهُ.

قَالَ إِمَامُ الْمُحَدِّثِينَ الْبُخَارِيُّ «كِتَابُ الْإِجَارَةِ»: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ **t**: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **r** قَالَ: «إِنَّمَا مِثْلُكُمْ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عَمَلًا، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ عَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَعُصِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقْلُ عَطَاءً، قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُمْ مَنْ حَقَّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، فَقَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»<sup>(١)</sup>.

(١) حَدِيثُ: «إِنَّمَا مِثْلُكُمْ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى» أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ: مُسْنَدُ الْكُثْرَيْنِ مِنَ الصَّحَابَةِ: مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ **t**. بِأَرْقَامٍ: (٤٢٧٩-٥٧٥٦-٥٨٥٩). وَالْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ صَحِيحِهِ: كِتَابِ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ - بَابُ مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الْعَصْرِ قَبْلَ الْغُرُوبِ. بِرَقْمَيْ: (٥٥٧، ٥٥٨). وَكِتَابِ الْإِجَارَةِ - بَابُ الْإِجَارَةِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ - بِرَقْمٍ: (٢٢٦٨)، وَبَابُ الْإِجَارَةِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ - بِرَقْمٍ: (٢٢٦٩)، وَبَابُ الْإِجَارَةِ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ - بِرَقْمٍ: =

وَقَالَ فِي «كِتَابِ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ»: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأُوسِيُّ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيَمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أَوْتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ، فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا، فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أَوْتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ، فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا، فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أَوْتِيَ الْقُرْآنَ، فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأَعْطَيْنَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ: أَيُّ رَبَّنَا أُعْطِيَتْ هَؤُلَاءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، وَأَعْطَيْنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا!! قَالَ اللَّهُ ﷻ: هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟، قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مِنْ أَشَاءٍ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ فِي «كِتَابِ الْإِجَارَةِ»: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ، فَعَمِلُوا لَهُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا وَمَا عَمِلْنَا بِاطِلٍ. فَقَالَ لَهُمْ: لَا تَفْعَلُوا، أَكْمَلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا، فَأَبَوْا وَتَرَكُوا. وَاسْتَأْجَرَ أَجِيرَيْنِ بَعْدَهُمْ فَقَالَ لَهُمَا: أَكْمَلَا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هَذَا وَلَكُمَا الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ

= (٢٢٧١). وَكِتَابِ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ - بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - بِرَقْمٍ: (٣٤٥٩)، وَكِتَابِ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ - بَابُ فَضْلِ الْقُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ - بِرَقْمٍ: (٥٠٢١)، وَكِتَابِ التَّوْحِيدِ - بَابُ فِي الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ - بِرَقْمٍ: (٧٤٦٧)، وَبَابُ: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿H G F E﴾ [آل عمران: ٩٣]، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا بِهَا، وَأُعْطِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ، وَأُعْطِيَتْ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ» - بِرَقْمٍ: (٧٥٣٣)، كُلُّهَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ t وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ t وَالْإِمَامِ التِّرْمِذِيِّ: كِتَابُ الْأَمْثَالِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بَابُ مَا جَاءَ فِي مَثَلِ ابْنِ آدَمَ وَأَجَلِهِ وَأَمَلِهِ.

(١) بِرَقْمَيْ: (٥٥٧، ٥٥٨).

فَعَمِلُوا، حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ قَالَا: لَكَ مَا عَمَلْنَا بَاطِلًا، وَلَكَ الْأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ. فَقَالَ لَهُمَا: أَكْمَلَا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَأَبَيَا، وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كُلِّيهما، فَذَلِكَ مِثْلُهُمْ وَمِثْلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: أَيُّ فِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى «فَعُضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقْلُ عَطَاءً»: أَيُّ قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ثَوَابًا كَثِيرًا مَعَ قَلَّةِ أَعْمَالِهِمْ، وَأَعْطَيْتَنَا ثَوَابًا قَلِيلًا مَعَ كَثْرَةِ أَعْمَالِنَا، وَلَعَلَّهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَقَدْ حَكَى عَنْهُمْ النَّبِيُّ ﷺ بِصِغَةِ الْمَاضِي لِتَحَقُّقِ ذَلِكَ، أَوْ صَدَرَ عَنْهُمْ مِثْلُ ذَلِكَ لَمَّا أَطْلَعُوا عَلَى فَصَائِلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي كُتُبِهِمْ، أَوْ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِمْ، وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ: فَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الثَّوَابَ لِلْأَعْمَالِ لَيْسَ عَلَى قَدْرِ التَّعَبِ، وَلَا عَلَى جِهَةِ الِاسْتِحْقَاقِ، لِأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَسْتَحِقُّ عَلَى مَوْلَاهُ لِحُدُوثِهِ أَجْرَةً، بَلْ الْمَوْلَى يُعْطِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، وَلَهُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْعَبِيدِ عَلَى وَجْهِ الْمَزِيدِ، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ. ١٠٠هـ. كَذَا فِي تُخْفَةِ الْأُخُوذِيِّ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الْحَافِظُ / فِي الْفَتْحِ: وَفِي الْحَدِيثِ (رَوَايَةُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ t) تَفْضِيلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَتَوْفِيرُ أَجْرِهَا مَعَ قَلَّةِ عَمَلِهَا، وَفِي قَوْلِهِ: «مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ» إِشَارَةٌ إِلَى قِصْرِ مُدَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِمْ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْعَمَلَ مِنَ الطَّوَائِفِ كَانَ مُسَاوِيًّا فِي الْمِقْدَارِ ١٠٠هـ. مِنَ الْفَتْحِ<sup>(٣)</sup>.

أَقُولُ: هَذَا التَّفْضِيلُ سَبَبُهُ الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ؛ وَلِذَلِكَ لَا نَعْجَبُ مِنْ كَثْرَةِ مَوَاضِعِ الْحَدِيثِ

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ: كِتَابُ الْإِجَارَةِ - بَابُ الْإِجَارَةِ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ t. بِرَقْمٍ: (٢٢٧١).

(٢) تُخْفَةُ الْأُخُوذِيِّ رَحَّ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ: كِتَابُ الْأَمْثَالِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بَابُ مَا جَاءَ فِي مِثْلِ ابْنِ آدَمَ وَأَجَلِهِ وَأَمَلِهِ. (ج ١٠ - ص ٩٩).

(٣) فَتْحُ الْبَارِي (ج ٤ - ص ٥٢٥) طَبْعَةُ الْمَكْتَبَةِ السَّلَفِيَّةِ الثَّالِثَةِ - الْقَاهِرَةُ - ١٤٠٧ هـ. كِتَابُ الْإِجَارَةِ - بَابُ الْإِجَارَةِ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ t.

عِنْدَ إِمَامِ الْمُحَدِّثِينَ الْبُخَارِيِّ؛ مِنْهَا مَوْضِعٌ فِي كِتَابِ فَصَائِلِ الْقُرْآنِ. بَابُ فَضْلِ الْقُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ. وَهَذَا مِنْ عَظِيمِ فِقْهِ الْبُخَارِيِّ <sup>(١)</sup>، قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَمُنَاسِبَةُ الْحَدِيثِ - أَيْ لِرَجْمَةِ الْبُخَارِيِّ لِلْبَابِ - ظَاهِرَةٌ مِنْ جِهَةٍ ثُبُوتِ فَضْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ، وَثُبُوتِ الْفَضْلِ لَهَا بِمَا ثَبَتَ مِنْ فَضْلِ كِتَابِهَا الَّذِي أُمِرَتْ بِالْعَمَلِ بِهِ.. **t** مِنَ الْفَتْحِ <sup>(٢)</sup>.

أَقُولُ: وَهَذَا الْفَضْلُ عَامٌّ لِلْمُتَقَدِّمِينَ أَصْحَابِ الْفَضْلِ وَالرِّيَادَةِ وَالسَّبْقِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَاتَّبَاعِ التَّابِعِينَ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَلَنَا - مَعَاشِرَ الْمُتَأَخِّرِينَ - شَرِيطَةُ الْعَمَلِ بِكِتَابِ رَبَّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا <sup>٣</sup>، جَعَلَنَا اللَّهُ مِمَّنْ قَبْلَ هَذَا النُّورِ وَعَمِلَ بِهِ... آمِينَ.

فَكَفَى أُمَّةَ الْإِسْلَامِ فَخْرًا تِلْكَ الْمِنَّةُ الرَّحْمَانِيَّةُ بِمُضَاعَفَةِ أَجُورِهِمْ، وَالزِّيَادَةِ فِي جَزَاءِهِمْ فِي مُقَابَلَةِ الْيَسِيرِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ؛ وَذَلِكَ الْفَضْلُ يَعْمُهُمْ وَيَشْمُلُهُمْ: أَوَائِلُهُمْ وَأَوَاخِرُهُمْ، بَلْ ثَبَتَ بِالسُّنَنِ الْمُسْتَفِيضَةِ السَّابِقِ بَيَانُهَا: عِظَمُ أَجُورِ أَعْمَالِ أَوَاخِرِهِمْ إِذَا أَقَامُوا الدِّينَ، وَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَصَبَرُوا عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، حِينَ تَكْثُرُ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَتَسْتَطِيرُ الشُّرُورُ، وَتَقِلُّ الْأَنْصَارُ وَالْأَعْوَانُ، وَيَبْصُرُ الْمُتَمَسِّكُ بِدِينِهِ غَرِيبًا فِي وَطَنِهِ، بَلْ يَبْنَ ذَوِيهِ وَأَهْلُهُ، فَعِنْدَئِذٍ يَكُونُ «لِلْعَامِلِ مِنْهُمْ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ».

فَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ وَبَانَ دَلَالَتُهُ، فَلَنَشْرَعَ الْآنَ فِي ذِكْرِ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ:

(١) فَائِدَةٌ: ذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ / حِينَئِذَا تَكَلَّمَ عَنْ تَرَاجُمِ الْبُخَارِيِّ وَتَبْوِيهِهِ لِلصَّحِيحِ؛ فَقَالَ مُثْنِيًا عَلَيْهَا، وَمُشِيدًا بِهَا:

{. وَكَذَلِكَ الْجِهَةُ الْعَظِيمَى الْمَوْجِبَةُ لِتُقْدِيمِهِ وَهِيَ مَا صَمَنَهُ أَبْوَابُهُ مِنَ التَّرَاجِمِ الَّتِي حَيَّرَتْ الْأَفْكَارَ، وَأَذْهَشَتْ الْعُقُولَ وَالْأَبْصَارَ، وَإِنَّمَا بَلَغَتْ هَذِهِ الرُّتْبَةُ، وَفَارَتْ بِهَذِهِ الْخُطُوبَةُ لِسَبَبٍ عَظِيمٍ أَوْجَبَ عِظَمَهَا: وَهُوَ مَا رَوَاهُ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ عَدِيٍّ عَنْ عَبْدِ الْقُدُوسِ بْنِ هَمَّامٍ قَالَ: شَهِدْتُ عِدَّةَ مَسَائِيخٍ يَقُولُونَ: حَوْلَ الْبُخَارِيِّ تَرَاجِمٌ جَامِعَةٌ يَعْنِي - بَيَّضَهَا - بَيْنَ قَبْرِ النَّبِيِّ <sup>٣</sup> وَمِنْبَرِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكُلِّ تَرْجَمَةٍ رَكَعَتَيْنِ {.

«هَدْيُ السَّارِي مُقَدِّمَةُ فَتْحِ الْبَارِي» ص ١٥ طَبْعَةُ الْكُتُبَةِ السَّلَفِيَّةِ الثَّالِثَةِ - الْقَاهِرَةُ - ١٤٠٧ هـ.

(٢) «فَتْحُ الْبَارِي» ج ٨ ص ٦٨٤ طَبْعَةُ الْكُتُبَةِ السَّلَفِيَّةِ الثَّالِثَةِ - الْقَاهِرَةُ - ١٤٠٧ هـ.

(١) الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر النميري /:

تعرّض الحافظ أبو عمر / لهذه القضية في كتابه الكبيرين «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» و«الاستدكار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار»<sup>(١)</sup>؛ خلال شرحه لما أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبَرَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا»، قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» الْحَدِيثُ<sup>(٢)</sup>، وَاسْتَشْهَدَ بِجُمْلَةٍ مِنْ أَحَادِيثِ الْفَصْلِ السَّابِقِ، وَسَاقَ أَكْثَرَهَا بِأَسَانِيدِهِ إِلَى رَوَاتِهَا.

ثُمَّ قَالَ الْحَافِظُ أَبُو عُمَرَ /: «وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ تَقْتَضِي مَعَ تَوَاتُرِ طُرُقِهَا وَحُسْنِهَا التَّسْوِيَةَ بَيْنَ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَآخِرِهَا، وَالْمَعْنَى فِي ذَلِكَ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مِنَ الْإِيَّانِ وَالْعَمَلِ

(١) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» ج ٢٠ - ص ٢٤٠ - ٢٥٥ طبعة المغرب. سنة ١٣٨٧ هـ -

١٩٦٧ م - بإشراف الدكتور سعيد أحمد أعراب... و«الاستدكار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار»

- باب جامع الوضوء (ج ١ ص ١٨٠ - ١٩٠) منشورات محمد علي يعضون ودار الكتب العلمية بيروت -

الطبعة الثانية سنة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م - بإشراف سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض.

للإمام ابن عبد البر: الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن

عبد البر بن عاصم النميري الأندلسي القرطبي المالكي صاحب التصانيف الفائقة المتوفى سنة ٤٦٣ هـ /

وقد استكمل خمسًا وتسعين سنة وخمسة أيام. قال ابن خلكان: التوري، بفتح التوْن والميم وبَعْدَهَا رَاءٌ؛

هذه النسبة إلى «النمر بن قاسط»، بفتح النون وكسر الميم، وإِثْمًا تُفْتَحُ الميم في النسبة خاصة: «النميري»،

وهي قبيلة كبيرة مشهورة. انتهى من سير أعلام النبلاء. (ج ١٨ ص ١٥٣).

(٢) حديث: «وددتُ أنا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» أخرجه الإمام مالك في «الموطأ»: كتاب الطهارة - باب جامع

الوضوء. برقم: (٥٣). والإمام أحمد في المسند: مسند الكثرين من الصحابة - مسند أبي هريرة t

برقمي: (٧٦٥٢-٨٩٢٤). وأخرجه مسلم «كتاب الطهارة» باب: استحباب إطالة الغرة والتججيل في

الوضوء... والنسائي: كتاب الطهارة - باب جلية الوضوء، وابن ماجه كتاب الزهد - باب ذكر

الحوض، وأبو يعلى «مسند الإمام أبي يعلى الموصلي» برقم: (٦٥٠٢). والبيهقي «السنن الكبرى». من

طرق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة به.

الصَّالِحِ فِي الزَّمَنِ الْفَاسِدِ الَّذِي يُرْفَعُ فِيهِ الْعِلْمُ، وَالِدَيْنِ مِنْ أَهْلِهِ، وَيَكْثُرُ الْفِسْقُ وَالْهَرَجُ، وَيَدُلُّ الْمُؤْمِنَ الْفَاجِرُ، وَيَعُودُ الدِّينَ غُرَبِيًّا كَمَا بَدَأَ، وَيَكُونُ الْقَائِمُ فِيهِ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، فَيَسْتَوِي حَيْثُ أَوَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِآخِرِهَا فِي فَضْلِ الْعَمَلِ، إِلَّا أَهْلَ بَدْرٍ وَالْحَدِيثِ.

وَمَنْ تَدَبَّرَ آثَارَ هَذَا الْبَابِ بَانَ لَهُ الصَّوَابُ، وَاللَّهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ»<sup>(١)</sup>.

وَرَدَّ الْحَافِظُ أَبُو عُمَرَ عَلَى مَنْ عَارَضَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الْقَاضِيَةَ عِنْدَهُ بِهَذَا الْحُكْمِ بِدَلَالَةِ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ» عَلَى عُمُومِ الْخَيْرِيَّةِ لِهَذِهِ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ.

فَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو عُمَرَ: «وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدِي بِمُعَارِضٍ، لِأَنَّ قَوْلَهُ ٢: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي» لَيْسَ عَلَى عُمُومِهِ، بِدَلِيلٍ مَا يَجْمَعُ الْقُرْنُ مِنَ الْفَاضِلِ وَالْمُفْضُولِ، وَقَدْ جَمَعَ قَرْنُهُ مَعَ السَّابِقِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ جَمَاعَةً مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْمُظْهِرِينَ لِلْإِيمَانِ، وَأَهْلَ الْكِبَائِرِ الَّذِينَ أَقَامَ عَلَيْهِمْ أَوْ عَلَى بَعْضِهِمُ الْحُدُودَ، وَقَالَ لَهُمْ: «مَا تَقُولُونَ فِي الشَّارِبِ وَالسَّارِقِ وَالزَّانِي؟»، وَقَالَ مُوَاجَهَةً لِمَنْ هُوَ فِي قَرْنِهِ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدًّا أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفُهُ»<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ الْحَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي عَمَّارٍ: «لَا تَسُبَّ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ»<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي قَوْلِهِ U: ﴿...﴾. / 1 2 قَالَ: «مَنْ فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِمْ كَانَ مِثْلَهُمْ»<sup>(٤)</sup>، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ U: ﴿...﴾. / 1 2 هُمْ الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَشَهِدُوا بَدْرًا وَالْحَدِيثِ. وَهَذَا كُلُّهُ يَشْهَدُ أَنَّ خَيْرَ قَرْنِهِ فَضْلًا أَصْحَابُهُ، وَأَنَّ قَوْلَهُ ٢: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي» لَفْظٌ خَرَجَ عَلَى الْعُمُومِ وَمَعْنَاهُ الْخُصُوصُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) «التَّهْنِيدُ» (٢٥٥/٢٠).

(٢) حَدِيثُ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي» سَبَقَ تَخْرِيجُهُ مُفَصَّلًا بِحَوْلِ اللَّهِ -: الْفَصْلُ الْأَوَّلُ حَاشِيَّةُ (ص ٢١).

(٣) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ مُفَصَّلًا بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: الْفَصْلُ الْأَوَّلُ حَاشِيَّةُ (ص ٢٢).

(٤) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ مُفَصَّلًا بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: الْفَصْلُ الْأَوَّلُ حَاشِيَّةُ (ص ٢٣).

(٥) «التَّهْنِيدُ» (٢٥٥/٢٠).



ثُمَّ خَتَمَ بِقَوْلِهِ / : «وَقَدْ قِيلَ فِي تَوْجِيهِ أَحَادِيثِ الْبَابِ مَعَ قَوْلِهِ ٣: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»: أَنْ قَرْنَهُ إِنَّمَا فَضَّلُوا لِأَنَّهُمْ كَانُوا غُرَبَاءَ فِي إِيْمَانِهِمْ لِكَثْرَةِ الْكُفَّارِ حِينَئِذٍ، وَصَبْرِهِمْ عَلَى أَذَاهُمْ، وَتَمَسُّكِهِمْ بِدِينِهِمْ، قَالَ: فَكَذَلِكَ أَوَاحِرُهُمْ إِذَا أَقَامُوا الدِّينَ، وَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَصَبَرُوا عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ حِينَ ظُهُورِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ، وَالْفِتَنِ وَالْفُسُوقِ وَالشُّرُورِ كَانُوا أَيْضًا عِنْدَ ذَلِكَ غُرَبَاءَ، وَزَكَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ كَمَا زَكَتْ أَعْمَالُ أَوَائِلِهِمْ، وَيَشْهَدُ لَهُ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، وَيَشْهَدُ لَهُ أَيْضًا حَدِيثُ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْحُثْنِيِّ مَرْفُوعًا: «لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ»، وَيَشْهَدُ لَهُ أَيْضًا حَدِيثُ أَنَسٍ مَرْفُوعًا: «أُمِّي كَالْمَطَرِ لَا يَدْرِي أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ».

وَقَدْ ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ٣: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

(١) قَالَ شَيْخُنَا أَبُو مُحَمَّدٍ: «أَخْطَأَ الْحَافِظُ أَبُو عَمَرَ هَاهُنَا فِي مَوْضِعَيْنِ :

[أَوَّلُهُمَا] عَزَوْهُ الْحَدِيثَ لِلْبُخَارِيِّ، وَالتَّبَادُرُ أَنَّهُ يَعْنِي «صَحِيحُهُ»، وَلَيْسَ فِيهِ.

وَأِنَّمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيْمَانِ - بَابُ ذَهَابِ الْإِيْمَانِ آخِرُ الرَّمَالِ الْوَالْتَرُ مِذْيُ كِتَابِ الْفِتَنِ - بَابُ مَا جَاءَ فِي رَفْعِ الْأَمَانَةِ (٢١٣٣) قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ بِإِسْنَادِهِ وَمَتْنِهِ سَوَاءً . قَالَ أَبُو عِيْسَى: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ نَحْوَهُ، وَلَمْ يَرْفَعْهُ، وَهَذَا أَصَحُّ مِنَ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ».

[ثَانِيَهُمَا] تَأْوِيلُهُ الْحَدِيثَ عَلَى مَعْنَى حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْحُثْنِيِّ وَدَلَالَتِهِ، مَعَ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ «حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ» بَيِّنُ الْمَعْنَى فِي خُلُوعِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَيُوحِّدُهُ، فَضْلًا عَمَّنْ يُقِيمُ الدِّينَ وَالسُّنَّةَ، بَلْ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ شِرَارُ الْخَلْقِ، وَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ. كَمَا أَخْرَجَ مُسْلِمٌ (١٩٢٤) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرُّ مَنْ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ»، فَقَالَ عَقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ: وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ٣ يَقُولُ: «لَا تُزَالُ عَصَابَةٌ مِنْ أُمَمِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: أَجَلٌ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ: مَسَّهَا مَسٌّ لِحْجٍ، فَلَا تَرَى كُنُفُسًا فِي قُلُوبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيْمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ» اهـ.

قَالَ: فَمَا حَالُ الْقَائِمِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، أَلَيْسَ هُوَ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجُمْرِ لَصَبْرِهِ عَلَى الذَّلِّ وَالْفَاقَةِ، وَإِقَامَةِ الدِّينِ وَالسُّنَّةِ!

وَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ كَتَبَ إِلَى سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنْ أَكْتُبَ إِلَيَّ بِسِيرَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِأَعْمَلَ بِهَا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَالِمٌ: «إِنْ عَمِلْتَ بِسِيرَةِ عُمَرَ، فَإِنَّهَا فَضْلٌ مِنْ عُمَرَ، لِأَنَّ زَمَانَكَ لَيْسَ كَزَمَانِ عُمَرَ، وَلَا رِجَالُكَ كَرِجَالِ عُمَرَ، وَكَتَبَ إِلَى فُقَهَاءِ زَمَانِهِ، فَكَتَبُوا إِلَيْهِ بِمِثْلِ قَوْلِ سَالِمٍ»<sup>(١)</sup>.

(٢) شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْإِمَامُ عَزَّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٦٠ هـ / (٢):

ذَكَرَ الْعَلَامَةُ أَبُو الطَّيِّبِ مُحَمَّدُ شَمْسُ الْحَقِّ الْعَظِيمُ أَبَادِيَّ فِي «عَوْنِ الْمَعْبُودِ شَرْحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» فِي ثَنَائِهِ شَرْحَهُ لِقَوْلِهِ ٣: «فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامٌ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ قَبْضِ عَلَى الْجُمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ» كَلَامًا نَفِيسًا لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ الْعِزِّ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ<sup>(٣)</sup>.

(١) مَوْعِظَةُ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَخْرَجَهَا أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ الْجَوَازِيِّ فِي كِتَابِهِ: «سِيرَةُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ» t بِسَنَدِهِ: سَبَقَ تَحْرِيجُهَا بِحَوْلِ اللَّهِ -.. الْفَضْلُ الْأَوَّلُ حَاشِيَةُ (ص ٢٥).

(٢) شَيْخُ الْإِسْلَامِ، سُلْطَانُ الْعُلَمَاءِ، الْإِمَامُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْحَسَنِ، السُّلَمِيُّ، الدَّمَشْقِيُّ، ثُمَّ الْمَصْرِيُّ الشَّافِعِيُّ. وُلِدَ فِي دِمَشْقَ ٥٧٧ هـ، لَهُ الْعَدِيدُ مِنَ الْمَصَنَفَاتِ مِنْهَا: «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» وَ «قَوَاعِدُ الْأَحْكَامِ فِي إِصْلَاحِ الْأَنْامِ» وَغَيْرَهَا. تُوُفِيَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ٦٦٠ هـ.

(٣) كَلَامُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ عَزَّ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ نَقْلُهُ شُرَاحُ الْحَدِيثِ: الْعَلَامَةُ أَبُو الطَّيِّبِ مُحَمَّدُ شَمْسُ الْحَقِّ الْعَظِيمُ أَبَادِيَّ فِي كِتَابِهِ «عَوْنِ الْمَعْبُودِ شَرْحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (ج ١١ - ٤٩٧: ٤٩٣) كِتَابُ الْمَلَا حِم. بَابُ: الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ. طَبْعَةُ الْمَكْتَبَةِ السَّلَفِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ. النَّاشِرُ مُحَمَّدُ عَبْدُ الْمُحْسَنِ الْكُتَيْبِيُّ. وَالْعَلَامَةُ أَبُو الْعَلِيِّ مُحَمَّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُبَارَكُفُورِيُّ فِي كِتَابِ تَهْفُةِ الْأَحْوَذِيِّ شَرْحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (ج ٨ - ٤٢٦: ٤٢٣). كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ.. بَابُ وَمِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ. طَبْعَةُ الْمَكْتَبَةِ السَّلَفِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ. النَّاشِرُ مُحَمَّدُ عَبْدُ الْمُحْسَنِ الْكُتَيْبِيُّ. ضَبْطُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ عُثْمَانُ. وَالشَّيْخُ السُّنْدِيُّ فِي كِتَابِهِ «شَرْحُ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ». وَقَدْ حَاوَلْتُ جَاهِدًا الْبَحْثَ عَنْ كَلَامِ الشَّيْخِ الْعِزِّ مِنْ كُتُبِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ؛ وَإِنَّمَا وَجَدْتُ مَا يُشَبِّهُهُ فِي كِتَابِهِ الْفَدَّ: «قَوَاعِدُ الْأَحْكَامِ فِي مَصَالِحِ الْأَنْامِ» تَحْقِيقُ: عَبْدُ الْغَنِيِّ الدَّقْرُ. طَبْعَةُ دَارِ الطَّبَّاعِ. وَلَعَلَّ كَلَامَهُ النَّفِيسَ هَذَا كَانَ مَوْجُودًا فِي كِتَابٍ فَقَدَ، أَوْ لَا يَزَالُ مَخْطُوطًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «قَالَ الشَّيْخُ عَزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ /: لَيْسَ هَذَا عَلَى إِطْلَاقِهِ بَلْ هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا أَنَّ الْأَعْمَالَ تَشْرَفُ بِمَرَاتِبِهَا، وَالثَّانِيَةُ أَنَّ الْغَرِيبَ فِي آخِرِ الْإِسْلَامِ كَالْغَرِيبِ فِي أَوَّلِهِ، وَبِالْعَكْسِ لِقَوْلِهِ ٢: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ مِنْ أُمَّتِي» يُرِيدُ الْمُتَفَرِّدِينَ عَنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ. ثُمَّ عَقَدَ مُقَارَنَةً بَيْنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ، فَتَقُولُ: الْإِنْفَاقُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ لِقَوْلِهِ ٢ لِحَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ t «لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» أَيُّ مَدٍّ الْحِنْطَةِ، وَالسَّبَبُ فِيهِ: أَنَّ تِلْكَ النِّفْقَةَ أَثْمَرَتْ فِي فَتْحِ الْإِسْلَامِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ مَا لَا يُثْمَرُ غَيْرُهَا، وَكَذَلِكَ الْجِهَادُ بِالنُّفُوسِ لَا يَصِلُ الْمُتَأَخِّرُونَ فِيهِ إِلَى فَضْلِ الْمُتَقَدِّمِينَ لِقَلَّةِ عَدَدِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَقِلَّةِ أَنْصَارِهِمْ، فَكَانَ جِهَادُهُمْ أَفْضَلَ؛ وَلَآنَ بَذَلَ النَّفْسَ مَعَ النُّصْرَةِ وَرَجَاءِ الْحَيَاةِ لَيْسَ كَبَذْلِهَا مَعَ عَدَمِهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ ٢: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ» <sup>(١)</sup> جَعَلَهُ أَفْضَلَ الْجِهَادِ لِيَأْسِهِ مِنْ حَيَاتِهِ، وَأَمَّا النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بَيْنَ ظُهُورِ الْمُسْلِمِينَ وَإِظْهَارِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّ ذَلِكَ شَاقٌّ عَلَى الْمُتَأَخِّرِينَ لِعَدَمِ الْمُعِينِ وَكَثْرَةِ الْمُنْكَرِ فِيهِمْ كَالْمُنْكَرِ عَلَى السُّلْطَانِ الْجَائِرِ، وَلِذَلِكَ قَالَ ٢: «يَكُونُ الْقَابِضُ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ» لَا يَسْتَطِيعُ دَوَامَ ذَلِكَ لِمَزِيدِ الْمَشَقَّةِ، فَكَذَلِكَ الْمُتَأَخِّرُ فِي حِفْظِ دِينِهِ وَأَمَّا الْمُتَقَدِّمُونَ فَلْيَسُّوا كَذَلِكَ لِكثْرَةِ الْمُعِينِ وَعَدَمِ الْمُنْكَرِ، فَعَلَى هَذَا يَنْزِلُ الْحَدِيثُ. أَيُّ حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْحُسَيْنِيِّ t. <sup>(٢)</sup>

(١) حَدِيثُ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ...» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الْمَلَا حِمِ. بَابُ: الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ. الْوَرْدُ مِذْيُ «كِتَابُ الْفِتَنِ» بَابُ: مَا جَاءَ أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ. وَابْنُ مَاجَهَ «كِتَابُ الْفِتَنِ» بَابُ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ. الْكُلُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ t.

(٢) الْعَلَامَةُ أَبُو الطَّيِّبِ مُحَمَّدُ شَمْسُ الْحَقِّ الْعَظِيمُ أَبَادِي فِي كِتَابِهِ «عَوْنُ الْمُعْبُودِ شَرْحُ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (ج ١١/٤٩٧: ٤٩٣) كِتَابُ الْمَلَا حِمِ. بَابُ: الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ. طَبْعَةُ الْمَكْتَبَةِ السَّلَفِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ. النَّاشِرُ: مُحَمَّدُ عَبْدُ الْمُحْسَنِ الْكُتُبِيُّ.

(٣) الحافظُ ابنُ حجرٍ العسقلانيُّ /:

في سياقِ شرحِهِ لحديثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ **t** عَنْ النَّبِيِّ **r**: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ»، قَالَ عِمْرَانُ: لَا أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ بَعْدَ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ. قَالَ النَّبِيُّ **r**: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمِنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: «وَأَقْتَضَى هَذَا الْحَدِيثُ أَنْ تَكُونَ الصَّحَابَةُ أَفْضَلَ مِنَ التَّابِعِينَ، وَالتَّابِعُونَ أَفْضَلَ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، لَكِنْ هَلْ هَذِهِ الْأَفْضَلِيَّةُ بِالنَّسَبِ إِلَى الْمَجْمُوعِ أَوْ الْأَفْرَادِ؟ مَحَلُّ بَحْثٍ، وَإِلَى الثَّانِي نَحَا الْجُمْهُورُ، وَالْأَوَّلُ قَوْلُ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ مَنْ قَاتَلَ مَعَ النَّبِيِّ **r**، أَوْ فِي زَمَانِهِ بِأَمْرِهِ أَوْ أَنْفَقَ شَيْئًا مِنْ مَالِهِ بِسَبِيهِ لَا يَعْدِلُهُ فِي الْفَضْلِ أَحَدٌ بَعْدَهُ كَأَنَّا مَنْ كَانَ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَقَعْ لَهُ ذَلِكَ فَهُوَ مَحَلُّ الْبَحْثِ، وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أُولَئِكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِهِمْ﴾ [الحديد: ١٠]<sup>(٢)</sup>.

ثُمَّ تَكَلَّمَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ رَأْيِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَمَا أَحْتَجَّ بِهِ مِنْ أَحَادِيثَ:

أَوَّلُهَا: حَدِيثُ «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ»، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ لَهُ طَرُقٌ قَدْ يَرْتَقِي بِهَا إِلَى الصَّحَّةِ، ثُمَّ عَرَضَ رَدُّ الْإِمَامِ النَّوَوِيِّ / عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي قَالَ عَنْهُ فِي «فَتَاوَاهِ» بِأَنَّهُ فِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَبِي يَعْلَى الْمُوصِلِيِّ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ، ثُمَّ اسْتَعَرَضَ جَوَابَ النَّوَوِيِّ عَلَى الْحَدِيثِ بِمَا حَاصِلُهُ: أَنَّ الْمُرَادَ مَنْ يَشْتَبِهَ عَلَيْهِ الْحَالُ فِي ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ الَّذِينَ يُدْرِكُونَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَيَرَوْنَ فِي زَمَانِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، وَانْتِظَامِ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ، وَدَحْضِ كَلِمَةِ الْكُفْرِ، فَيَشْتَبِهُ الْحَالُ

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ. - بَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ **r**، وَمِنْ صَحَبِ النَّبِيِّ **r** أَوْ رَأَاهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ. وَيَنْحُوهُ حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ **t** بَعْدَهُ.

(٢) «فَتْحُ الْبَارِيِّ» (ج ٧ ص ٨-٩)

عَلَى مَنْ شَاهَدَ ذَلِكَ: أَيُّ الزَّمَانَيْنِ خَيْرٌ؟ وَهَذَا الْاِسْتِثْنَاءُ مُنْذَفِعٌ بِصَرِيحِ قَوْلِهِ **ر**: «خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي»، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. انْتَهَى كَلَامُ النَّوَوِيِّ <sup>(١)</sup> / .

ثُمَّ رَدَّ ابْنُ حَجَرٍ / عَلَى النَّوَوِيِّ وَبَيَّنَّ صِحَّةَ الْحَدِيثِ؛ فَقَالَ:

وَأَغْرَبَ النَّوَوِيُّ فَعَزَاهُ فِي فَتَاوَاهُ إِلَى «مُسْنَدِ أَبِي يَعْلَى» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ، مَعَ أَنَّهُ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ بِإِسْنَادٍ أَقْوَى مِنْهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ **t**، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانٍ مِنْ حَدِيثِ عَمَّارٍ **t** .

وَيُظْهِرُ أَنَّ الْحَافِظَ يَنْصُرُ عَلَى وَجَلٍ مَذْهَبَ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ، فَقَدْ عَقَّبَ قَائِلًا: «وَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ أَحَدِ التَّابِعِينَ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ر**: «لِيَذُرَكَنَّ الْمَسِيحُ أَقْوَامًا، إِنَّهُمْ لَمِثْلُكُمْ، أَوْ خَيْرٌ - ثَلَاثًا - وَلَنْ يُخْزِيَ اللَّهُ أُمَّةً أَنَا أَوْلَاهَا، وَالْمَسِيحُ آخِرُهَا»، وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ رَفَعَهُ: «تَأْتِي أَيَّامٌ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ»، قِيلَ: مِنْهُمْ أَوْ مِنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بَلْ مِنْكُمْ»، وَهُوَ شَاهِدٌ لِحَدِيثِ: «مِثْلُ أُمَّتِي مِثْلُ الْمَطَرِ».

ثُمَّ عَادَ الْحَافِظُ إِلَى مَا اسْتَشْهَدَ بِهِ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، وَمَا اخْتَجَّ مِنْ أَحَادِيثَ:

ثَانِيهَا: حَدِيثُ عُمَرَ رَفَعَهُ: «أَفْضَلُ الْخَلْقِ إِيمَانًا قَوْمٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي» أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ وَغَيْرُهُ، لَكِنْ إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ؛ فَلَا حُجَّةَ فِيهِ.

ثَالِثُهَا: وَرَوَى أَحْمَدُ وَالدَّارِمِيُّ وَالتَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي جُمُعَةَ **t** قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا؟ أَسْلَمْنَا مَعَكَ، وَجَاهَدْنَا مَعَكَ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي»، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَقَدْ صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

وَاحْتِجَّ بِأَنَّ السَّبَبَ فِي كَوْنِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ خَيْرَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ كَانُوا غُرَبَاءَ فِي إِيْمَانِهِمْ لِكَثْرَةِ

(١) فَتَاوَى النَّوَوِيِّ: «الْمَسَائِلُ الْمُنْثَوْرَةُ» تَرْتِيبُ تَلْمِيْذِهِ: عَلَاءُ الدِّينِ بْنِ الْعَطَّارِ. الْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ ص ١٨٠ - (١٨١). طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَابِ الْعِلْمِيَّةِ الْأُولَى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م. بَيَّرَتْ لُبْنَانُ.

الْكُفَّارِ حَيْثُ، وَصَبَرَهُمْ عَلَى أَذَاهُمْ، وَتَمَسَّكَهُمْ بِدِينِهِمْ، قَالَ: فَكَذَلِكَ أَوَاخِرُهُمْ إِذَا أَقَامُوا الدِّينَ، وَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَصَبَرُوا عَلَى الطَّاعَةِ حِينَ ظُهُورِ الْمَعَاصِي وَالْفِتَنِ كَانُوا أَيْضًا عِنْدَ ذَلِكَ غُرَبَاءَ، وَزَكَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ كَمَا زَكَتْ أَعْمَالُ أَوْلَئِكَ. وَيَشْهَدُ لَهُ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ؛ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

وَقَدْ تُعْقَبُ كَلَامُ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ بِأَنَّهُ مُقْتَضَى كَلَامِهِ أَنَّ يَكُونَ فِيمَنْ يَأْتِي بَعْدَ الصَّحَابَةِ مَنْ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ، وَبِذَلِكَ صَرَّحَ الْقُرْطُبِيُّ، لَكِنَّ كَلَامَ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ لَيْسَ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي حَقِّ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ، فَإِنَّهُ صَرَّحَ فِي كَلَامِهِ بِاسْتِثْنَاءِ أَهْلِ بَدْرِ وَالْحُدَيْيَةِ. نَعَمْ وَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ فَضِيلَةَ الصُّحْبَةِ لَا يَعْدِلُهَا عَمَلٌ لِمُشَاهِدَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَّا مَنْ اتَّفَقَ لَهُ الذَّبُّ عَنْهُ، وَالسَّبْقُ إِلَيْهِ بِالْهَجْرَةِ أَوْ النُّصْرَةِ، وَضَبَطَ الشَّرْعُ الْمُتَلَقَّى عَنْهُ، وَتَبْلِيغُهُ لِمَنْ بَعْدَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْدِلُهُ أَحَدٌ مِمَّنْ يَأْتِي بَعْدَهُ، لِأَنَّهُ مَا مِنْ خَصْلَةٍ مِنَ الْخِصَالِ الْمَذْكُورَةِ إِلَّا وَلِلَّذِي سَبَقَ بِهَا لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، فَظَهَرَ فَضْلُهُمْ».

ثُمَّ ضَيَّقَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ دَائِرَةَ النَّزَاعِ، فَقَالَ: «وَمُحْصَلُ النَّزَاعِ يَتَمَحَّضُ فِيمَنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ إِلَّا مُجَرَّدُ الْمُشَاهَدَةِ كَمَا تَقَدَّمَ، فَإِنْ جُمِعَ بَيْنَ مُخْتَلِفِ الْأَحَادِيثِ الْمَذْكُورَةِ كَانَ مُتَّجِهًا عَلَى أَنَّ حَدِيثَ «لِلْعَامِلِ مِنْهُمْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» لَا يَدُلُّ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ غَيْرِ الصَّحَابَةِ عَلَى الصَّحَابَةِ، لِأَنَّ مُجَرَّدَ زِيَادَةِ الْأَجْرِ لَا يَسْتَلْزِمُ ثَبُوتَ الْأَفْضَلِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ، وَأَيْضًا فَلَا أَجْرَ إِنَّمَا يَقَعُ تَفَاضُلُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يُمِثِّلُهُ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ، فَأَمَّا مَا فَازَ بِهِ مَنْ شَاهَدَ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ زِيَادَةِ فَضِيلَةِ الْمُشَاهَدَةِ فَلَا يَعْدِلُهُ فِيهَا أَحَدٌ، فَبِهَذَا يُمَكِّنُ تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ الْمُتَقَدِّمَةِ».

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي جُمُعَةَ، فَلَمْ تَتَّفِقِ الرَّوَاةُ عَلَى لَفْظِهِ، فَقَدْ رَوَاهُ بَعْضُهُمْ بِلَفْظِ الْحَيْرِيَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ بِلَفْظِ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ مِنْ قَوْمٍ أَعْظَمُ مِنَّا أَجْرًا؟. الْحَدِيثَ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَإِسْنَادُ هَذِهِ الرَّوَايَةِ أَقْوَى مِنْ إِسْنَادِ الرَّوَايَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَهِيَ تُوَافِقُ حَدِيثَ أَبِي ثَعْلَبَةَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْجَوَابُ عَنْهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ<sup>(١)</sup>.

(١) فَتْحُ الْبَارِي كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ - بَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ أَوْ رَأَاهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ. (ج ٧ - ص ٨، ٩) طَبْعَةُ السَّلَفِيَّةِ.

قُلْتُ وَالْقَائِلُ شَيْخُنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَلْفِيُّ: قَدْ أَجَادَ الْحَافِظُ فِي تَحْرِيرِ مَحَلِّ النِّزَاعِ، وَجَمَعَ بَيْنَ مُخْتَلَفِ الْأَحَادِيثِ جَمْعًا مُتَقَنًّا، وَأَصَابَ فِي تَقْرِيرِ أَنَّ زِيَادَةَ الْأَجْرِ لِلْمُتَأَخِّرِ لَا يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ الْأَفْضَلِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ لَهُ عَلَى الْمُتَقَدِّمِ الْعَامِلِ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَقَدْ ثَبَتَ لِلْمُتَقَدِّمِ فَضِيلَةُ الْمَشَاهِدَةِ الَّتِي لَا يَعْدِلُ فِيهَا أَحَدٌ. أَقُولُ: إِنْ لَمْ تَثْبُتِ الْأَفْضَلِيَّةُ فَقَدْ ثَبَتَتْ فَضِيلَةُ الْأُمَّةِ الْمُتَأَخِّرَةِ - وَلَا شَكَّ - وَإِنْ لَمْ يَثْبُتْ لِأَفْرَادِهَا أَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ أَحَادِ الصَّحَابَةِ، وَيَكْفِي الْمُتَأَخِّرِينَ الَّذِينَ يَوَدُّونَ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ، وَلَوْ افْتَدَوْهُ بِأَرْوَاحِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فَخَرًا تِلْكَ الْمِنَّةُ الرَّحْمَانِيَّةُ بِمُضَاعَفَةِ أَجُورِهِمْ، لَيَبْلُغُوا فِي أَخْرَاهُمْ الْأُمْنِيَّةَ الَّتِي أَرَادُوا، وَمِنْ أَجْلِهَا عَمِلُوا وَصَبَرُوا، وَالَّتِي سَبَقَهُمْ إِلَيْهَا الصَّحَابَةُ فِي دُنْيَاهُمْ، وَشَارَكُوهُمْ إِيَّاهَا فِي أَخْرَاهُمْ.

(٤) العلامة القاضي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّوْكَانِيُّ /:

قَدْ سَبَقَ نَقْلُ كَلَامِ الْقَاضِي الشَّوْكَانِيِّ فِي قَضِيَّةِ فَضِيلَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مِنْ بَحْثِنَا هَذَا، وَذَلِكَ فِي ثَنَائَا تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿ - / ﴾، وَلَكِنَّهُ أَفَاضَ الْقَوْلَ حَوْلَ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ فِي بَابِ دَمٍّ مَنَ حَلَفَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَحْلَفَ مِنْ كِتَابِهِ «نَيْلُ الْأَوْطَارِ»، وَذَلِكَ فِي ثَنَائَا شَرْحِهِ لِحَدِيثِ خُطْبَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْجَابِيَّةِ، وَالَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خُطَبْنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَّةِ <sup>(١)</sup>، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قُمْتُ فَيْكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِينَا، فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَخْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدُ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، أَلَا لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بامرأةٍ إِلَّا كَانَ تَالِيَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ» <sup>(٢)</sup> وَهَذِهِ

(١) الْجَابِيَّةُ: مِنْطَقَةٌ كَانَتْ قَرِيبَةً مِنْ أَحَدِ أَبْوَابِ دِمَشْقَ الْمَعْرُوفِ بِهَذَا الْاسْمِ، وَهِيَ الْيَوْمَ أَحَدُ أَحْيَائِهَا.

(٢) حَدِيثُ خُطْبَةِ عُمَرَ بِالْجَابِيَّةِ: أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ «الْمُصَنَّفُ» (ج ١١ / برقم: ٢٠٧١٠). وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، مُسْنَدُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ t برقم: (١٧٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ «كِتَابُ الْفِتَنِ» - بَابُ مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الْجَمَاعَةِ. وَالنَّسَائِيُّ «السُّنَنُ الْكُبْرَى» بِأَرْقَامِ: (٩٢٢١)، (٩٢٢٢)،



رَوَايَةُ التِّرْمِذِيِّ، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

قَالَ الْقَاضِي الشَّوْكَانِيُّ / «لَوْ قَدْ وَعَدْنَا أَنْ نَذْكُرَ هَهُنَا طَرَفًا مِنَ الْكَلَامِ عَلَى مَا وَرَدَ مِنْ مُعَارَضَةِ الْأَحَادِيثِ الْقَاضِيَةِ بِأَفْضَلِيَّةِ الصَّحَابَةِ فَتَقُولُ: قَدْ تَقَدَّمَ فِي بَابٍ: «مَنْ أَعْلَمَ صَاحِبَ الْحَقِّ بِشَهَادَةٍ لَهُ عِنْدَهُ، وَدَّمَ مَنْ أَدَّى شَهَادَةً مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ» حَدِيثُ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ الْقُرُونِ قُرْنِي»، وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ هُمْ الْخِيَارُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَنَّهُ لَا أَكْثَرَ خَيْرًا مِنْهُمْ. وَقَدْ ذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى: أَنَّ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ كُلِّ فَرْدٍ فَرْدٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: إِنَّ التَّفْضِيلَ إِنَّمَا هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَجْمُوعِ الصَّحَابَةِ، فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ لَا كُلَّ فَرْدٍ مِنْهُمْ.

وَقَدْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ قَوِيٍّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا: «مِثْلُ أُمَّتِي مِثْلُ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ»، وَأَخْرَجَهُ وَأَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ عَمَّارٍ. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ بْنِ نُفَيْرٍ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيُدْرِكَنَّ الْمَسِيحُ أَقْوَامًا، إِنَّهُمْ لَمِثْلُكُمْ، أَوْ خَيْرٌ ثَلَاثًا، وَلَنْ يُخْزِيَ اللَّهُ أُمَّةً أَنَا أَوَّلُهَا، وَالْمَسِيحُ آخِرُهَا» وَلَكِنَّهُ مُرْسَلٌ لِأَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ تَابِعِيٌّ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ عَنْ عُمَرَ رَفَعَهُ: «أَفْضَلُ الْخَلْقِ إِيْمَانًا قَوْمٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، يُؤْمِنُونَ بِي وَلَا يَرَوْنِي».

(٩٢٢٣)، (٩٢٢٤)، (٩٢٢٥)، (٩٢٢٦). وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ: «كِتَابُ الْعِلْمِ» بَرَقَمَ: (٣٥٦).  
وَالطَّبْرَانِيُّ «الْأَوْسَطُ» بَرَقَمِي (١٧٢٢) مُحْتَضَرًا (٣٠٣٩). وَالطَّبْرَانِيُّ «الصَّغِيرُ» بَرَقَمَ: (٢٤٦). وَابْنُ حِبَّانَ ذَكَرَ الْإِخْبَارَ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ لُزُومِ مَا عَلَيْهِ جَمَاعَةُ الْمُلَمِّينَ وَتَرْكُ الْإِنْفِرَادِ عَنْهُمْ بُتْرَكَ الْجَمَاعَاتِ بَرَقَمَ: (٤٥٧٦). ذَكَرَ الْإِخْبَارَ عَنْ وَصِيَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ بِالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بَعْدَهُ بَرَقَمَ: (٧٢٥٤). ذَكَرَ الزَّجَرُ أَنَّ يَحْلُو الْمَاءَ بِامْرَأَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بِمُغِيْبَةٍ بَرَقَمَ: (٥٥٨٦). ذَكَرَ الْإِخْبَارَ عَمَّا يَظْهَرُ فِي النَّاسِ مِنَ الْمُسَابَقَةِ فِي الشَّهَادَاتِ وَالْإِيْمَانِ الْكَاذِبَةِ بَرَقَمَ: (٦٧٢٨). وَانْظُرْ: «نَيْلُ الْأَوْطَارِ» (ج ٨ ص ٣١٢-٣١٣). طَبْعَةُ مَكْتَبَةِ دَارِالْإِسْلَامِ.



وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالذَّارِمِيُّ وَالطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي جُمُعَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا، أَسْلَمْنَا مَعَكَ، وَجَاهَدْنَا مَعَكَ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي، يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْني»، وَقَدْ صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ. وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ». وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ ثَعْلَبَةَ رَفَعَهُ: «تَأْتِي أَيَّامٌ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ»، قِيلَ: مِنْهُمْ أَوْ مِنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بَلْ مِنْكُمْ».

وَجَمَعَ الْجُمْهُورُ بِأَنَّ الصُّحْبَةَ لَهَا فَضِيلَةٌ وَمَزِيَّةٌ، لَا يُوَازِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَلَمَنْ صَحَبَ النَّبِيَّ ﷺ فَضِيلَةُ الصُّحْبَةِ وَإِنْ قَصَرَ فِي الْأَعْمَالِ، وَفَضِيلَةُ مَنْ بَعْدَ الصَّحَابَةِ بِاعْتِبَارِ كَثَرَةِ الْأَعْمَالِ الْمُسْتَلْزِمَةِ لِكَثَرَةِ الْأُجُورِ.

فَحَاصِلُ هَذَا الْجَمْعِ: «أَنَّ التَّنْصِصَ عَلَى فَضِيلَةِ الصَّحَابَةِ بِاعْتِبَارِ فَضِيلَةِ الصُّحْبَةِ، وَأَمَّا بِاعْتِبَارِ أَعْمَالِ الْخَيْرِ فَهُمْ كَغَيْرِهِمْ قَدْ يُوجَدُ فِيهِمْ بَعْدَهُمْ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ أَعْمَالًا مِنْهُمْ أَوْ مِنْ بَعْضِهِمْ، فَيَكُونُ أَجْرُهُ بِاعْتِبَارِ ذَلِكَ أَكْثَرَ، فَكَانَ أَفْضَلُ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ، وَقَدْ يُوجَدُ فِيهِمْ بَعْدَهُمْ مَنْ هُوَ أَقَلُّ أَعْمَالًا مِنْهُمْ أَوْ مِنْ بَعْضِهِمْ، فَيَكُونُ مَفْضُولًا مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ»<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَعْرِضُ لِهَذَا الْجَمْعِ مِنْ إِشْكَالٍ، فَقَالَ: «وَيُشْكَلُ عَلَى هَذَا الْجَمْعِ مَا ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ فِي الصُّحْبَةِ بِلَفْظِ «لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدُّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفُهُ»، فَإِنَّ هَذَا التَّفْصِيلَ بِاعْتِبَارِ خُصُوصِ أُجُورِ الْأَعْمَالِ لَا بِاعْتِبَارِ فَضِيلَةِ الصُّحْبَةِ. وَيُشْكَلُ عَلَيْهِ أَيْضًا حَدِيثُ ثَعْلَبَةَ الْمَذْكُورُ، فَإِنَّهُ قَالَ: «لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا»، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ الْخَمْسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ التَّفْضِيلَ بِاعْتِبَارِ الْأَعْمَالِ، فَاقْتَضَى الْأَوَّلُ أَفْضَلِيَّةَ الصَّحَابَةِ فِي الْأَعْمَالِ إِلَى حَدِّ يَفْضُلُ نِصْفُ مَدِّهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا، وَاقْتَضَى الثَّانِي تَفْضِيلَ مَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى حَدِّ يَكُونُ أَجْرُ الْعَامِلِ أَجْرَ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ، فَتَقَرَّرَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ عَدَمُ صِحَّةِ مَا جَمَعَ بِهِ الْجُمْهُورُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) «نَيْلُ الْاَوْطَارِ» (ج ٨ ص ٣١٣). طَبْعَةُ مَكْتَبَةِ دَارِ الْاِثَارِ.

(٢) «نَيْلُ الْاَوْطَارِ» (ج ٨ ص ٣١٣). طَبْعَةُ مَكْتَبَةِ دَارِ الْاِثَارِ.

ثُمَّ ذَكَرَ الشُّوْكَانِيُّ رَأْيَهُ بِوُضُوحٍ، فَقَالَ: «وَالَّذِي يُسْتَفَادُ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ لِلصَّحَابَةِ مَزِيَّةً لَا يُشَارِكُهُمْ فِيهَا مَنْ بَعْدَهُمْ، وَهِيَ صُحْبَتُهُ ٢ وَمُشَاهَدَتُهُ، وَالْجِهَادُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِنْفَادُ أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَلَنْ بَعْدَهُمْ مَزِيَّةً لَا يُشَارِكُهُمْ الصَّحَابَةُ فِيهَا، وَهِيَ إِيْمَانُهُمْ بِالْغَيْبِ فِي زَمَانٍ لَا يَرَوْنَ فِيهِ الذَّاتَ الشَّرِيفَةَ الَّتِي جَمَعَتْ مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا يَقُودُ بِزَمَامِ كُلِّ مُشَاهِدٍ إِلَى الْإِيْيَانِ إِلَّا مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةُ. وَأَمَّا بِاعْتِبَارِ الْأَعْمَالِ، فَأَعْمَالُ الصَّحَابَةِ فَاضِلَةٌ مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِحَالَةٍ مَخْصُوصَةٍ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ «لَوْ أَتَفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدٍ» الْحَدِيثِ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْمَزِيَّةَ هِيَ لِلْسَّابِقِينَ مِنْهُمْ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ٣ خَاطَبَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُمْ كَمَا يُشْعُرُ بِذَلِكَ السَّبَبُ، وَفِيهِ قِصَّةٌ مَذْكُورَةٌ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ، فَالَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ٣: «لَوْ أَتَفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا» هُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ تَأَخَّرَتْ صُحْبَتُهُمْ، فَكَانَ بَيْنَ مَنْزِلَةِ أَوَّلِ الصَّحَابَةِ وَآخِرِهِمْ أَنَّ إِنْفَاقَ مِثْلِ أَحَدٍ ذَهَبًا مِنْ مُتَأَخِّرِيهِمْ لَا يَبْلُغُ مِثْلَ إِنْفَاقِ نِصْفِ مُدٍّ مِنْ مُتَقَدِّمِيهِمْ. وَأَمَّا أَعْمَالُ مَنْ بَعْدَ الصَّحَابَةِ، فَلَمْ يَرَدْ مَا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهَا أَفْضَلَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، إِنَّمَا وَرَدَ ذَلِكَ مُقَيَّدًا بِأَيَّامِ الْفِتْنَةِ وَغُرْبَةِ الدِّينِ، حَتَّى كَانَ أَجْرُ الْوَاحِدِ يَعْدِلُ أَجْرَ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ، فَيَكُونُ هَذَا مُخَصَّصًا لِعُمُومِ مَا وَرَدَ فِي أَعْمَالِ الصَّحَابَةِ، فَأَعْمَالُ الصَّحَابَةِ فَاضِلَةٌ، وَأَعْمَالُ مَنْ بَعْدَهُمْ مَفْضُولَةٌ إِلَّا فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَالَةِ، وَمِثْلِ حَالَةِ مَنْ أَدْرَكَ الْمَسِيحَ إِنْ صَحَّ ذَلِكَ الْمُرْسَلُ <sup>(١)</sup>.

وَبِإِنْضِمَامِ أَفْضَلِيَّةِ الْأَعْمَالِ إِلَى مَزِيَّةِ الصُّحْبَةِ يَكُونُونَ خَيْرَ الْقُرُونِ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: «لَا يُدْرَى خَيْرٌ أَوْلُهُ أَمْ آخِرُهُ» بِاعْتِبَارِ أَنَّ فِي الْمُتَأَخِّرِينَ مَنْ يَكُونُ بِتِلْكَ الْمَثَابَةِ مِمَّنْ يَكُونُ أَجْرُهُ أَجْرَ خَمْسِينَ، هَذَا بِاعْتِبَارِ أَجُورِ الْأَعْمَالِ، وَأَمَّا بِاعْتِبَارِ غَيْرِهَا، فَلِكُلِّ طَائِفَةٍ مَزِيَّةٌ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، لَكِنَّ مَزِيَّةَ الصَّحَابَةِ فَاضِلَةٌ مُطْلَقًا بِاعْتِبَارِ مَجْمُوعِ الْقَرْنِ لِحَدِيثِ: «خَيْرُ الْقُرُونِ قُرْنِي» فَإِذَا اعْتَبَرْتَ كُلَّ قَرْنٍ قَرْنًا، وَوَارَنْتَ بَيْنَ مَجْمُوعِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ مَثَلًا، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ كَذَلِكَ إِلَى انْقِرَاضِ الْعَالَمِ، فَالصَّحَابَةُ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَلَا يُنَافِي هَذَا تَفْضِيلُ الْوَاحِدِ مِنْ أَهْلِ قَرْنٍ، أَوِ الْجَمَاعَةِ عَلَى الْوَاحِدِ، أَوِ الْجَمَاعَةِ مِنْ أَهْلِ قَرْنٍ آخَرَ.

(١) «نَيْلُ الْاَوْطَارِ» (ج ٨ ص ٣١٤). طَبْعَةُ مَكْتَبَةِ دَايْرَتِالْاَدَبِ.

ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَ التَّوَوِيِّ / وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي مَعْرِضِ كَلَامِ ابْنِ حَجَرٍ /، وَرَدَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا مِنَ التَّعَسُّفِ الظَّاهِرِ.

وَالَّذِي أَوْقَعَهُ فِيهِ عَدَمُ ذِكْرِ فَاعِلٍ يُدْرَى فَحَمَلَهُ عَلَى هَذَا، وَغَفَلَ عَنِ التَّشْبِيهِ بِالْمُطَرِّ الْمُنْفِيدِ لَوْ قُوعِ التَّرْدُّدِ فِي الْخَيْرِيَّةِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ.

ثُمَّ ذَكَرَ مَا يُشْكِلُ مِنْ دَلَالَةِ حَدِيثِ أَبِي جُمُعَةَ الْأَنْصَارِيِّ <sup>t</sup>: عَنْ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي جُمُعَةَ - رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ - حَدَّثَنَا حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ <sup>r</sup> قَالَ: نَعَمْ أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا جَيِّدًا تَعْدِينَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ <sup>r</sup> وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدُ خَيْرٍ مِنَّا: أَسْلَمْنَا مَعَكَ، وَجَاهَدْنَا مَعَكَ؟، قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْني» <sup>(١)</sup> «فَإِنْ قُلْتُ: يَقْتَضِي هَذَا تَفْضِيلَ مَجْمُوعِ قَرْنِ هَؤُلَاءِ عَلَى مَجْمُوعِ قَرْنِ الصَّحَابَةِ !!».

قُلْتُ: لَيْسَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا يُفِيدُ تَفْضِيلَ الْمَجْمُوعِ عَلَى الْمَجْمُوعِ، وَإِنْ سُلِمَ ذَلِكَ وَجَبَ الْمَصِيرُ إِلَى التَّرْجِيحِ لِتَعَدُّرِ الْجَمْعِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ حَدِيثَ «خَيْرُ الْقُرُونِ قُرْنِي» أَرْجَحُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ بِمَسَافَاتٍ، لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَوْنُهُ فِي الصَّحِيحِ، وَكَوْنُهُ ثَابِتًا مِنْ طَرُقٍ، وَكَوْنُهُ مُتَلَقًى بِالْقَبُولِ، فَظَهَرَ بِهَذَا وَجْهُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَرْتَبَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْأَعْمَالِ، كَمَا ظَهَرَ وَجْهُ الْجَمْعِ بِاعْتِبَارِ الْأَعْمَالِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ، فَلَمْ يَتَوَقَّعْ هَهُنَا إِشْكَالًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَهـ.

قُلْتُ: وَنَزِيدُ فِي التَّرْجِيحِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ بِمَا قَالَهُ ابْنُ حَجَرٍ /: وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي جُمُعَةَ فَلَمْ تَتَّفِقِ الرَّوَاةُ عَلَى لَفْظِهِ؛ فَقَدْ رَوَاهُ بَعْضُهُمْ بِلَفْظِ الْخَيْرِيَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ بِلَفْظِ: «قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ مِنْ قَوْمٍ أَعْظَمُ مِنَّا أَجْرًا؟» الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَإِسْنَادُ هَذِهِ الرَّوَايَةِ أَقْوَى مِنْ إِسْنَادِ الرَّوَايَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَهِيَ تُوَافِقُ حَدِيثَ أَبِي ثَعْلَبَةَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْجَوَابُ عَنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ <sup>(٢)</sup>.

(١) هَذِهِ رَوَايَةُ الدَّارِمِيِّ فِي كِتَابِ الرَّقَاقِ - بَابُ فِي فَضْلِ آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَخْرَجَهُ كَذَلِكَ أَحْمَدُ وَأَبُو يَغْلَى وَالتَّبْرَانِيُّ.

(٢) فَتَحَ الْبَارِي: كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ. - بَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ <sup>r</sup> وَمَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ <sup>r</sup> أَوْ رَأَاهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ (ج ٧ ص ٩) طَبْعَةُ السَّلَفِيَّةِ.

وَهَذَا التَّفَرُّيرُ الْأَخِيرُ لَا مَزِيدَ عَلَى حُسْنِهِ، وَبِمُقْتَضَاهُ تَتَقَيُّ دِلَالَاتُ مُخْتَلِفِ الْأَحَادِيثِ وَتَأْتِلِفُ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلُهُ وَأَبْيَنَهُ «فَأَعْمَالُ الصَّحَابَةِ فَاضِلَةٌ، وَأَعْمَالُ مَنْ بَعْدَهُمْ مَفْضُولَةٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنْهُمْ فِي أَيَّامِ الْفِتْنَةِ وَغُرْبَةِ الدِّينِ»، فَإِنَّهُ يَتَأَيَّدُ بِمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ **t** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** قَالَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ» <sup>(١)</sup>.

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ **t** وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ **رضي الله عنهما** «أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ **ﷺ**: أَبْرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ قُلُوبًا، وَأَعَمَّقُهَا عِلْمًا، وَأَقْلَقُهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَأَعْرِفُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَتَمَسَّكُوا بِهِدْيِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهَدْيِ الْمُسْتَقِيمِ» <sup>(٢)</sup>.

(١) حَدِيثُ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: «كِتَابُ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ» - بَابُ فَضْلِ الْعِبَادَةِ فِي الْهَرَجِ.  
(٢) أَثَرُ: «أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ **ﷺ**» أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي: «حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ. (ج ١ ص ١٦٢). وَأَخْرَجَهُ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ الْبَرِّ فِي: «جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ» [ج ٢ ص ٩٤٧ برقم: (١٨١٠)] تَحْقِيقُ الشَّيْخِ أَبِي الْأَشْبَالِ الزُّهَيْرِيِّ. طَبْعَةُ دَارِ ابْنِ الْجَوَازِيِّ - الشُّعُودِيَّةُ - الْأُولَى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.  
قَالَ الْمُحَقِّقُ أَبُو الْأَشْبَالِ الزُّهَيْرِيُّ عَنْ أَثَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ **t**: إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وَالْأَثَرُ لَا بَأْسَ بِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ إِسْنَادَهُ إِلَى الْحَافِظِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ وَحَدَّثَنَا سُيُدُّنَا مُعْتَمِرٌ عَنْ سَلَامِ بْنِ مَسْكِينٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ **t**: ... الْأَثَرُ. قَالَ الْمُحَقِّقُ أَبُو الْأَشْبَالِ الزُّهَيْرِيُّ: سُيُدُّنَا هُوَ ابْنُ دَاوُدَ الْمِصْبِصِيِّ، قَالَ الْحَافِظُ: ضَعِيفٌ مَعَ إِمَامَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ. وَقَتَادَةُ هُوَ ابْنُ دِعَامَةَ مَدْلِسٌ، وَلَمْ يَنْتَبِثْ لَهُ سَمَاعٌ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ **ﷺ** غَيْرَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَرِّجٍ **رضي الله عنهما**. وَقَالَ عَنْ أَثَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ مِنْ طَرِيقِ عُمَرَ بْنِ نُبَهَانَ عَنِ الْحَسَنِ، قُلْتُ: وَالْحَسَنُ هُوَ الْبَصْرِيُّ، وَإِنْ كَانَ قَدْ ثَبَتَ لَهُ سَمَاعٌ مِنْ ابْنِ عُمَرَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُصْرَحْ بِالسَّمَاعِ هُنَا، وَعُمَرَ بْنِ نُبَهَانَ ضَعِيفٌ، وَلَكِنِّي أَرَجُو أَنْ يَرْتَقِيَ الْأَثَرُ بِهَذِهِ الْمَتَابَعَةِ. انْتَهَى كَلَامُ الشَّيْخِ الزُّهَيْرِيِّ. أَقُولُ: وَأَوْرَدَهُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: «مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ»: ج ٤ ص ٢٨٥ سُورَةُ يُوسُفَ آيَةُ (١٠٩). عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ. وَعَزَاهُ الْمُحَقِّقُونَ إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي الْمُسْنَدِ (٢١١ / ٥) بِتَحْقِيقِ الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ شَاكِرٍ / طَبْعَةُ دَارِ طَيْبَةِ الْأُولَى ١٤٠٩ هـ، قَالَ الْمُحَقِّقُونَ: وَقَالَ الْحَافِظُ الْهَيْثُمِيُّ «مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبُغُ الْفَوَائِدِ» (١ / ١٧٨): «رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَزْزَارُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ مُوثِقُونَ» أَقُولُ: وَلَمْ أَجِدْهُ فِي أَيِّ شَيْءٍ مِمَّا ذَكَرُوهُ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ / : «هُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ، وَعَقْلٍ، وَدِينٍ، وَفَضْلٍ، وَكُلُّ سَبَبٍ يُنَالُ بِهِ عِلْمٌ، أَوْ يُدْرَكُ بِهِ هُدًى» <sup>(١)</sup>.

(٥) العلامة الأُميرُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الصَّنْعَانِيُّ / :

وَذَلِكَ فِي ثَنَائِهِ شَرْحَهُ لِحَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ» وَقَدْ أَخَذَ بِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجَمْعُ هُورٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، إِذْ قَالَ فِي «سُبُلِ السَّلَامِ» شَرْحَ بُلُوغِ الْمَرَامِ: «وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ أَفْضَلُ مِنَ التَّابِعِينَ، وَالتَّابِعُونَ أَفْضَلُ مِنَ تَابِعِيهِمْ، وَأَنَّ التَّفْضِيلَ بِالنَّظَرِ إِلَى كُلِّ فَرْدٍ فَرْدٍ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْجَمَاهِيرُ.

وَذَهَبَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ إِلَى أَنَّ التَّفْضِيلَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَجْمُوعِ الصَّحَابَةِ، لَا إِلَى الْأَفْرَادِ، فَمَجْمُوعُ الصَّحَابَةِ أَفْضَلُ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ، لَا كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ، إِلَّا أَهْلُ بَدْرٍ وَأَهْلُ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِمْ، يُرِيدُ: أَنَّ أَفْرَادَهُمْ أَفْضَلُ مِنْ أَفْرَادِ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ.

وَاحْتَجَّ الْجَمْعُ هُورٌ بِأَنَّ لِلصُّحْبَةِ فَضِيلَةً وَمَرِيَّةً لَا يُوَازِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَلَمَنْ صَحَبَهُ <sup>(٢)</sup> فَضِيلَتُهَا وَإِنْ قَصُرَ عَمَلُهُ، وَأَجْرُهُ بِاعْتِبَارِ الاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ، وَتَكُونُ خَيْرِيَّتُهُمْ عَلَى مَنْ بَعْلَهُمْ بِاعْتِبَارِ كَثْرَةِ الْأَجْرِ لَا بِالنَّظَرِ إِلَى ثَوَابِ الْأَعْمَالِ، وَهَذَا قَدْ يَكُونُ فِي حَقِّ بَعْضِ الصَّحَابَةِ، وَأَمَّا مَشَاهِيرُ الصَّحَابَةِ، فَإِنَّهُمْ حَازُوا السَّبْقَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيْرِ، وَبِهَذَا يَحْصُلُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ الْمُخْتَلِفَةِ.

وَأَيْضًا، فَإِنَّ الْمُفَاضَلَةَ بَيْنَ الْأَعْمَالِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْأَعْمَالِ الْمُتَسَاوِيَةِ فِي النَّوعِ، وَفَضِيلَةُ الصُّحْبَةِ مُخْتَصَّةٌ بِالصَّحَابَةِ، لَمْ يَكُنْ لِمَنْ عَدَاهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ النَّوعِ» <sup>(٣)</sup>.

(١) قَوْلُ الشَّافِعِيِّ / أَوْرَدَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ تَيْمِيَّةٍ / فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (ج ١ ص ٣٢٢) وَعَزَاهُ إِلَى كِتَابِ: «الرَّسَالَةُ» لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ / .

وَكَذَلِكَ «مِنْهَاجُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» (ج ٦ - ص ٣٨).

(٢) الضَّمِيرُ فِي: «فَضِيلَتُهَا» يَعُودُ عَلَى الصُّحْبَةِ.

(٣) «سُبُلُ السَّلَامِ» شَرْحُ بُلُوغِ الْمَرَامِ بَابُ الشَّهَادَاتِ (ج ٤/ص ١٧٣ - ١٧٤) حَدِيثُ رَقْمٍ (١٤١٥) تَخْرِيجُ عَصَامِ الدِّينِ الصَّبَّابِيِّ وَعِمَادِ السَّيِّدِ، طَبَعُهُ دَارُ الْحَدِيثِ الْأُولَى الْقَاهِرَةُ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.